البنى الصرفيّة

في خطبة السيّدة الزهراء عليها السلام

المدرس الدكتور
بان صالح مهدي الخفاجي
جامعة بغداد ـ كليّة التربية للبنات

البنى الصرفيّة في خطبة السيّدة الزهراء عليها السلام

المدرس الدكتور
بان صالح مهدي الخفاجي
جامعة بغداد ـ كليّة التربية للبنات

المقدمة:ـ

إنّ الدراسة الصرفيّة تعنى ببنية الكلمة ووظيفتها في التكوين اللغوي[١] إذ إنّ علم الصرف ((يدرس بنية الكلمات، وأشكالها لا لذاتها وإنّما لغرض دلالي أو لغرض صرفي يفيد خدمة الجمل والعبارات))[٢].

وهذا البحث يروم الافادة من معطيات الدرس الصرفي؛ ليوظفها في تحليل تجليات خطبة السيدة الزهراء عليها السلام.

فإذا كان الدرس الصرفي قد اشتمل على قواعد تغيّر البنية، وإحصاء الصيغ والأوزان، وأثر موسيقى الشعر في توليد بعضها. فإنّ الدراسة التحليلية تفيد من ذلك كلّه في وصف أشكال الاستعمال اللغوي، والحكم على أسلوب النص بوساطة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي.

والمستوى الصرفي له أهمية كبيرة في تحديد دلالات النص، ومعانيه ولاسيما ما يتعلق بالبنية الصرفية وما في تلك البنية من معانٍ متباينة يسوقها المُبدع لتحقيق الغاية المنشودة[٣].

فالجانب الصرفي من جوانب الدراسة المهمة، ولا يخفى ما لهذا المستوى من أهمية كبيرة في بيان المعاني التي تحملها الأبنية الصرفية لجملة من الألفاظ التي يسوقها المبدع لتحقيق الغاية المنشودة.

وما نبغيه في هذا البحث هو إبراز دلالات الأبنية الواردة في الخطبة

الشريفة، ودورها في رسم ملامح أسلوب السيّدة الزهراء عليها السلام بغية الوصول إلى الأهداف المرجوة من الخطبة. ومحاولة الوقوف على القصدية التي أدت بها إلى انتقاء بناء ما في موضع معين، واستعمال بناء مغاير في موضع آخر. مفيدة بذلك من أهم خصائص اللغة العربية في تعدد الأبنية فـ ((من خصائص العربيّة التي عدها العلماء لها ما تمتاز به من اتساع الأبنية، وكثرة الصيغ التي تستوعب المعاني التي يمكن أن تجيش بها نفس إنسان في وقت من الأوقات))[٤].

ويعيننا في الوصول إلى مبتغانا القواعد التي حملتها كتب الصرف التي تبرّز معاني هذه الأبنية، علاوة على السياق الذي يحيط بالنص المدروس، والمقام الذي وردت فيه.

وقد انتظم هذا البحث في محورين:

الأول: تناول البنية الفعلية لما لها من أهمية فاعلة في التعبير عن المعاني بصورة مميزة، واشتمل الحديث فيه عن دلالات معاني أبنية الأفعال وقصدية استعمالها في الخطبة الشريفة، إذ بيّنت دقة استعمال كلٍّ منها في موضعها.

والثاني: كان الحديث فيه عن المشتقات الواردة في الخطبة التي لا تقل شأناً عن أبنية الأفعال في رسم ملامح تشكيل النص ولاسيما في المستوى الصرفي.

أبنية الأفعال:ـ

للفعل أهمية كبيرة وهو الأساس في البناء الصرفي؛ لأن بنيته ترتبط بالتغيّر والتحوّل، وتقوم السوابق واللواحق بدور رئيس في هذا التغيّر وما يتشكل عنه من معانٍ ودلالات مختلفة، وتقوم حروف الزيادة بدور مهم في الدلالة على المعاني المكتسبة؛ لذلك فإن انتقاء أبنية معينة في الخطبة الشريفة كان له دلالته ولاسيما إذا اتسق بناء الفعل ودلالته مع المعنى المراد من النص، ولبيان

هذا الأمر حاولنا رصد الأبنية الواردة في الخطبة وبيان معانيها التي أشارت إليها كتب الصرف، ومن ثم استكناه توظيف تلك الأبنية لتبوح بالمراد. وهي على النحو الآتي:

أولاً: أفعل:

الغرض من الزيادة إمّا معنوي فيراد فيها الحصول على معانٍ جديدة زائدة على معنى الفعل المجرد، أو لفظي يُراد منه الإلحاق فـ ((كلّ كلمة اسماً كانت أو فعلاً فيها زيادة لا تطّرد في إفادة معنى، وساوت الكلمة بهذه الزيادة وزناً من أوزانه المجرّد في عدد حروفه، وحركاته، فهي ملحقة بهذا الأصل وزيادتها للإلحاق))[٥] فإن لم تفد الزيادة معنى جديداً، ولم تكن للإلحاق، كانت لتوكيد المعنى أو المبالغة فيه[٦].

وقد ذكر الصرفيون مجموعة معان[٧] تتأتى من زيادة الهمزة على الجذر الثلاثي (فعل) ومن معانيها الواردة في الخطبة الشريفة:

١- **التعدية:** وهو أشهر معاني (أفعل)، يقول الدكتور زين كامل الخويسكي: ((وهي في هذه الحالة تأتي بمعنى جديد يهدف إليه المستعمل حتى يزداد بها الأداء دقة وقوة، وقد يُراد تهيئة الذهن للنهوض بما يكسب الأداء الفني أصالة غير معهودة في الكلام وقد يكون الإيجاز بالتعبير عن المعنى الكثير بلفظ قليل))[٨]، ومثالها في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام: ((أنشأها بلا احتذاء أمثلة أمتثلها))[٩].

جاء الفعل (أنشأ) على البناء (أفعل) ليحمل معنى (التعدية) إذ عدي الفعل (نشأ) إلى مفعول به بزيادة همزة في أوله ليصير (أنشأ) فهو فعل متعدٍ. والدلالة التي يحملها هذا التغيير لا تتعلق بمضمون تعدية الفعل أو لازميته إنّما تتمثل في أنّ الفعل إذا كان لازماً فيشير إلى أن الفاعل هو المنشئ نفسه وهو

الذي يقوم بالفعل أمّا إذا كان متعدياً فالله هو الذي أنشأه وكوّنه. وهذه إشارة على عظمة الله وقدرته على عباده. فضلاً عمّا أداه هذا البناء في الفعل من انسجام موسيقي في الخطبة الشريفة لأنّه جاء متساوقاً مع الأفعال التي وردت سابقة له كـ (أنعم، وألهم، وأسدى، وأولى، وغيرها).

وورد أيضاً في قولها عليها السلام: ((أطلع الشيطانُ رأسه من مغرزه))[١٠].

إذ حول الفعل من اللازم إلى المتعدي وهي في هذا الحال تنسب الفعل إلى المسبب فجملة (طلع رأس الشيطان) لا تشير إلى من تسبب بطلوع رأسه. أمّا (أطلع الشيطان رأسه) تشير إلى أنّ المسبب هو الشيطان. فهذا كان من وساوس الشيطان وهي إشارة إلى أنّ هذا الأمر بعيد عن الله عزّ وجل وهو حادث بأمر الشيطان الذي يأمر بالمعاصي.

وهذا ينطبق في أكثر من موطن استعمل فيه هذا البناء، ومن هذه المواطن قولها عليها السلام: ((أبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض))[١١]، فأشارت بالفعل (أبعد) الذي حمل دلالة التعدية من اللازم (بعُد) إلى أنّكم من تسببتم بإبعاد من له أحقية البسط والقبض وهذه كناية عن (الخلافة).

٢- التوكيد والمبالغة: ورد البناء (أفعل) ليفيد معنى التوكيد والمبالغة في الفعل. ومثاله قولها عليها السلام: ((فأنقذهم من الغواية))[١٢] لتشير إلى المهمة الجسيمة التي أداها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وقيمتها السامية وهي إنقاذ المجتمع مما كان فيه، وانتشال الناس من واقعهم المرير، ونقلهم إلى واقع جديد أساسه المعاني السامية التي تجسدت بتعاليم الإسلام السماوية.

ومن ذلك أيضاً قولها عليها السلام: ((وأسفر الحق عن محضه))[١٣] زيادة في التوكيد والمبالغة في الظهور فإنّ أسفر وسفر يحملان معنى واحداً لكنّها عليها السلام أرادت أن تشير إلى شدّة وضوح الحق الذي حاد القوم عنه، وابتعدوا.

ومن المواضع التي ورد فيها البناء (أفعل) ولا يراد منه إلا التوكيد هو قولها عليها السلام: ((أخلدتم إلى الخفض))[١٤] ولا فرق بين الفعل (خلد) و (أخلد) إلا التوكيد.

ثانياً ـ (فعّل):-

يدل البناء (فعّل) على مجموعة معان أهمها:

١ـ المبالغة والتكثير:

إذ يومئ بناء (فعّل) إلى التكثير والمبالغة[١٥] وقد وردت هذه الصيغة في الخطبة الشريفة في المواطن التي تدل على القوة والتحدي، وذلك نحو قولها عليها السلام، في معرض حمدها لله عزّ وجل وشكرها له على نعمه فتثني عليه قائلة: ((والثناء بما قدّم))[١٦] مبالغة بفضل الله ونعمه على العالمين التي قدّمها لهم.

ووردت هذه الصيغة أيضاً في حديثها الذي فصّلت القول فيه في كلمة الإخلاص والتوحيد ومخالفة الشرك فقالت عن هذه الكلمة: ((وضمّن القلوب موصولها))[١٧] وهذا البناء جاء منسجماً مع الفكرة التي تحملها هذه البنية التركيبية وهي تتحدث عن كلمة تعد أساس الدين ومرتكز الإيمان.

ثم تصل إلى الحديث عن قدرة الله عزّ وجلّ، وخلقه الأشياء من العدم وهذا موطن من مواطن الجدل وله ماله من الأهمية فتوظف البناء (فعّل) في هذا الموضع الذي يتحدث عن تكوين الله الأشياء فتقول: ((كوّنها بقدرته))[١٨].

وقد ورد هذا البناء في القصة التي بثّتها السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها، وهي محور الفكرة التي تنبني عليها الخطبة، وهي إرثها عليها السلام فقد جاء هذا البناء في استفهامها الإنكاري إذ زاد هذا البناء في المبالغة في الاستنكار فضلاً عن

اقترانه بالهمزة فتعاضد كلٌّ من هذا البناء مع الاستفهام الإنكاري الذي يوحي بشدة استنكارها عليها السلام قائلة: (أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها))[١٩]

إنّ أهمية تصوير حال الأمة قبل مجيء النبي محمد صلى الله عليه وآله، وبعد بداية رسالته الخالدة. وحاجة هذين إلى التأكيد دفعا السيدة الزهراء عليها السلام إلى انتقاء بناء يحمل هذا التوكيد فجاء اختيار صيغة (فعّل) ملائماً للمطلوب. وفي منتهى الدقة. فاستعملته وهي تتحدث عليها السلام عن أبيها صلى الله عليه وآله مؤكدة تبليغه رسالة الإسلام الخالدة. وأهمية هذا الحدث هو الذي دفعها إلى استعمال بناء (فعّل) الذي يشير إلى التوكيد، فقالت عليها السلام: ((فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة))[٢٠].

وعلاوة على معنى التوكيد الذي حمله هذا البناء في هذا الموضع أفاد معنى التدرج[٢١]، الذي يشير إلى طول الحقبة التي أدى بها هذا التبليغ، ومشقّة هذه العملية، فحمل هذا البناء المعنيين معاً.

واستعملت هذا البناء معاتبة من تخاطبهم وتلومهم على تركهم القرآن الكريم، وترك أوامره مُكْبِرة هذا العمل ومستقبحة إيّاه. فصورته بهذا البناء، لتؤكد شناعته وقبحه قائلة: ((وقد خلَّفتموه وراء ظهوركم))[٢٢].

وكان هذا البناء حاضراً حين شرعت السيّدة الزهراء في حديثها عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله مشيرة إلى اختيار الله له واصطفائه قبل بعثته وتسميته قبل اجتبائه، ويبدو أنّ هذا الموضع الذي قد ينكره المنكرون به حاجة إلى التوكيد فورد مؤكداً دون الأفعال السابقة له واللاحقة. فقالت عليها السلام: ((وسمّاه قبل أن اجتباه))[٢٣].

ويرد البناء (فعّل) في الحديث الذي جسّد مسيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله الخالدة والمهام الجسام الذي نهض بها صلى الله عليه وآله ومن بين هذه الأفعال التي تحدّثت عمّا قام به وهي: كشف، وأنقذ، وقام، وهدى فعلان وردا بصيغة (فعَّل) في

قولها عليها السلام[٢٤] والفعل (بصّر) في قولها: ((وبصَّرهم من العماية))[٢٥]. فيتضافر معنى التعدية مع التوكيد؛ لتشير إلى تدخل النبي، وإسهامه في نقلهم من حالة إلى حالة.

وهذان الفعلان صورا حال المسلمين قبل بداية الرسالة المحمدية الخالدة وكأنّ على عيونهم غشاوة أدت بهم إلى العماية فكانت الرسالة هي الوسيلة التي جلت الغمم عن الأبصار، وبصّرت الناس من العماية.

ثالثاً ـ فاعل

الأصل أن يكون هذا البناء بين اثنين، وذلك أن يفعل كل واحد منهما ما يفعل الآخر، ويعبر عنه بالمفاعلة [٢٦]. ومن أهم معاني هذا البناء هو المشاركة، قال سيبويه: ((اعلم أنّك إذا قلت فاعلتُه، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه))[٢٧].

ويرى الدكتور مصطفى جواد: ((أنه على نوعين: مشاركة، وتهيئة إليها))[٢٨].

وقد جاء هذا البناء مشيرا إلى معنى المشاركة والتآزر في قيام الأعمال في قولها عليها السلام: ((قاتلتم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم))[٢٩] وهذه المهام بها حاجة إلى تضافر الهمم، والتعاون من أجل تحقيقها لذا كان انتقاء البناء (فاعل) متساوقا مع هذا المعنى.

رابعاً: افتعل:-

يؤدي هذا البناء معاني: المبالغة، والطلب، والمشاركة، والاتخاذ، والمطاوعة والإظهار[٣٠].

وتدل زيادة الهمزة والتاء في الفعل الثلاثي على القوة والشدّة. والافتعال يعني حدوث الفعل بالمجاهدة والقوة [٣١].

١ـ التوكيد:ـ

فمن معانيه الواردة في الخطبة الشريفة (التوكيد) إذ أفادت السيدة الزهراء من المعاني التي يحملها هذا البناء ووظفته في الخطبة الشريفة التي انسجمت دلالة هذا البناء مع جوها فقالت: ((ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها))[٣٢] تلوح إلى قوة خلق الله للأشياء من العدم وفي هذا التوكيد مدح لقوة الله عزّ وجل.

ومثلما يرد هذا البناء ليؤكد الحقيقة التي يحملها، يرد منفياً لينفي المعنى المعبّر عنه فقد نفت الاتخاذ الذي هو أحد معاني هذا الفعل في قولها: ((وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها))[٣٣] أي نفت أن يتخذ أمثلة يحذو حذوها، ويتمثل بها في الخلق.

وقد جاء هذا البناء ليحمل معنى التوكيد والمبالغة في الأفعال التي تحدّثت عن اختيار الله لنبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله، واجتبائه، واصطفائه قبل بعثته فقالت عليها السلام: ((وأشهد أنّ أبي محمداً عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه))[٣٤] فضلا عن التوازي المتحقق من تكرار هذا البناء الذي يشبه خيطاً يضم أطراف الموضوع، ويشكّل وحدة موضوعية في تناسق صوتي رائع.

وأعادت الفعل (ابتعث) في موضع آخر في قولها: ((ابتعثه الله اتماماً لأمره))[٣٥].

٢ـ الاتخاذ

عبّر البناء (افتعل) عن الاتخاذ في الفعل (اصطفى) في قولها عليها السلام ((اصطفاه قبل أن ابتعثه))[٣٦] : واصطفاه بمعنى اتخذه نبيّا والمراد اتخذ الله الرسول نبياً أي جعله نبياً.

خامساً: تفعّل

ارتبط هذا البناء بدلالات توزعت بحسب المعاني التي يعبر عنها

فمن معاني (تفعّل): مطاوعة (فعّل)، و (المبالغة) والتدرج [٣٧]، وقد بدا واضحاً هذا المعنى أعني التكلف والتدرج في قولها عليها السلام: ((حتّى تفرّى الليلُ عن صبحه))[٣٨] فجاء هذا البناء في الفعل (تفرّى) إذ يفيد هذا الفعل في أصله التدرّج في حصول الفعل أو التكلّف في الاتيان به .

وكذلك ورد هذا المعنى متمثلاً ببناء (تفعّل) في قولها عليها السلام:((تحمَّلتُم الكدّ والتعب))[٣٩] ففي الفعل(تحمّلتم) إشارة إلى المبالغة والزيادة في شدّة ما تحمل المسلمون من الكدّ والتعب لأجل إرساء قواعد الدين الحنيف وبناء المرتكزات التي أسست عليها الأمة الإسلامية. فعبر هذا البناء عن شدة هذا التحمل، وهو معنى مستحصل من استمرار حمل هم الكد والتعب شيئاً فشيئا، أي التدرج في حمله.

وهذا البناء ورد في قولها عليها السلام ((ولبئس ما تأوّلتم))[٤٠] في الفعل (تأوّلتم) الذي بيّنت بوساطته شدة العمل الذي قام به المسلمون ضدها وفداحته وهو محور الخطبة الشريفة في قولها (تأوّلتم)، فالتأوّل هو تكلّف العودة إلى الأمر الأول.

سادساً: انفعل: -

يفيد هذا البناء المطاوعة ((وهي تعني قبول الأثر وعدم الامتناع عليه باعتبار المطاوع في الأساس هو المفعول به الذي يصير فاعلاً))[٤١] وقد ورد هذا البناء حاملاً هذا المعنى في قولها عليها السلام: ((**انحلّت عقد الكفر والشقاق**))[٤٢].

فالعقد طيّعة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أجهد نفسه في حلّ تلك العقد، ونشر الدين الإسلامي الحنيف، وبث أفكاره إلى العالم.

وكذلك ورد في قولها عليها السلام: ((**انهزم الجمع وولوا الدبر**))[٤٣].

طاوعوا الهزيمة لشدّة ما لاقوا من قوة جيش المسلمين وجهاده لهم.

- وكذلك في قولها عليها السلام: ((**وانفتق رتقه**))[٤٤] أي طاوع الانفتاق.

سابعاً: استفعل

وهذا البناء له مجموعة معانٍ [٤٥] من معانيها: الطلب، والصيرورة.

١ـ الطلب

وقد ورد هذا البناء في الخطبة الشريفة في قولها عليها السلام: ((**استحمد إلى الخلائق بإجزالها**))[٤٦] أي أمر الخلائق بالحمد

إنّ الله أمر العباد أن يكون مقابل عطاياه حمدهم وشكرهم.

٢ـ الصيرورة

وجاء هذا المعنى بوساطة البناء (استفعل) في قولها عليها السلام: ((**استوسع وهنه، واستنهر فتقه**))[٤٧] أي صيره واسعاً، وصار نهرا، وكذلك في قولها عليها السلام: ((**واستوسق نظام الدين**))[٤٨] أي صار وسيقاً، وجاء أيضا في قولها عليها السلام: ((**والغدرة التي استشعرتها قلوبكم**))[٤٩] بمعنى شعرت وأحّست بها قلوبكم فجاءت بمعنى الطلب والاستقصاء أي الغدرة التي رامت قلوبكم الشعور بها، والوصول إلى كنهها لأنكم كنتم تخططون لها مسبقاً.

فوظفت كلّ صيغة صرفية من تلك الصيغ في محلها ووضعتها في المكان الذي ينسجم وما تحمله من دلالة الأمر الذي يفسر كثرة استعمال هذه الصيغ في الخطبة الشريفة إذا ما قورنت بأبنية الاسم الواردة فيها.

المشتقات:ـ

تعد أبنية المشتقات كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأبنية

المبالغة عناصر رئيسة في البناء الصرفي في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام وقد استعملتها كثيراً إذ وظفت معانيها في تجسيد بناء خطبتها الشريفة، فضلاً عن التنوع في الأدوات الذي يكسب النص اللغوي رونقاً، ويضفي عليه جمالية السبك، علاوة على أن هذه الأبنية أسهمت في توليد جو صوتي من شأنه أن يحقق الغاية المنشودة من الخطبة الشريفة ومن أمثلتها:

١ـ اسم الفاعل

بنية اسم الفاعل مصدر من مصادر الثراء اللغوي في الخطبة الشريفة فقد حمل دلالات صوتية، وفنية.

واسم الفاعل، هو: ((الصفة الدالة على الحدث والذات ومعناه التجدد والحدوث))[٥٠]

يؤتى باسم الفاعل دون الفعل حين يراد الثبوت و((يقع اسم الفاعل وسطاً بين الفعل والصفة المشبّهة فالفعل يدل على التجدد والحدوث، فإن كان ماضياً دلّ على أن حدثه تمّ في الماضي. وإن كان حالاً أو استقبالاً دلّ على ذلك أمّا اسم الفاعل فهو أدوم وأثبت من الفعل ولكنّه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبّهة))[٥١]؛ لذلك نجد أن محلّ ورود اسم الفاعل في الخطبة الشريفة يشير إلى الأمور التي لا تكتسب صفة الثبوت المطلق، وذلك نحو قولها عليها السلام: وهي تتحدث عن القرآن ((قائداً إلى الرضوان اتّباعه))[٥٢] ولعل عدم ثبوت أن يكون اتباع القرآن إلى الرضوان لما يتوجب من توافر الشروط المعينة في اتباعه، وهذه الشروط قد لا تكون موجودة في كلّ متبع فإنّ استعمال اسم الفاعل في هذا الموضع من خطبتها الشريفة فيه دلالة أرادت أن تبوح بها وهي أن يكون القرآن قائداً مع توافر شروط أخرى يجب أن يتصف بها من يتبع القرآن الكريم ليقوده إلى رضوان الله تعالى.

وكذلك كان لفظ (عابدة) يحمل دلالة عدم الثبوت في قولها: عليها السلام: ((عابدة لأوثانها))[٥٣] لأنّ عبادة الأوثان غير مستقرة، وغير ثابتة. وهذه الدلالة تنطبق على الأمثلة الأخرى التي ورد فيها هذه البناء، وذلك نحو قولها: ((ضارباً ثبجهم))[٥٤] و ((آخذاً بأكظامهم))[٥٥]

وخلاصة القول إنّ السيّدة الزهراء عليها السلام استعملت اسم الفاعل لتشير به إلى الأوصاف غير المستقرة، لما يحمل بناؤه من دلالة عدم الثبات والاستقرار.

٢ـ الصفة المشبّهة

ترد أبنية الصفة المشبهة لتؤدي وظيفة العدول عن (فاعل) إلى أبنية مختلفة ولتدل على معانٍ أبلغ من معاني (فاعل) وتكسب هذه الأبنية وقعاً موسيقياً في الاستعمال فهي ذات دلالة معنوية وموسيقية في البناء اللغوي، فضلاً عن أن الصفة المشبهة تدل على الوصف الثابت اللازم، وقد وردت الصفة المشبهة بأوزانها المختلفة، ومنها:

١ـ فعيل

وتدل صيغة (فعيل) على الوصف الثابت اللازم في باب الصفة المشبهة باسم الفاعل فتشتق أمثلة من أفعال الباب الخامس التي تدل على الطبائع والخصال الملازمة صاحبها كالحسن والقبح [٥٦] وقد بدا هذا المعنى في أكثر من موضع من الخطبة الشريفة، وذلك نحو قولها عليها السلام:

- ((وهداهم إلى الدين القويم))[٥٧] فوصف القويم ثابت في الدين الحنيف غير متغير.

وكذلك الأوصاف التي نعتت بها الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله، وهي عزيز، حريص، رحيم تتصف بالثبوت وقد وردت في قولها: ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم))[٥٨].

ومما وصفت به الله عز وجل قولها: ((فإنّ الله لغني حميد))[٥٩] وهي صفة ثابتة غير متغيرة.

علاوة على أنها نعتت الإمام علياً عليه السلام بصفة ملازمة له غير متغيرة وهي قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله في قولها: ((**قريباً من رسول الله**))[٦٠] إذ بيّنت آفاق العلاقة المتينة التي تربط الإمام علياً عليه السلام بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فقد أفادت الصفة (قريباً) التي جاءت على بناء (فعيل) لتعزز صفة التلازم والقرب من الإمام علي ورسول الرحمة صلى الله عليه وآله وهو بالتالي أمر رباني مفروغ منه.

وقد ورد استعمال بناء (فعيل) الصفة المشبهة معبرا عن معنى الثبوت في قولها التي عبّرت فيه عن عتبها الذي وجهته إلى من اغتصبها حقّها قائلة لهم: ((هذا والعهد قريب، والكلم رحيب))[٦١] مشيرة بلفظي (قريب، ورحيب) اللذين جاءا على بناء (فعيل) الذي يعبر عن الثبوت لتؤكد شدّة اقتراب العهد من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي فارق الحياة قبل أيام قليلة والتحق بالرفيق الأعلى. فضلاً عن إشارة لفظ (رحيب) إلى أن جرح فراق النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لم يندمل بعد وهو جرح ثابت مستقر في ضمير السيدة الزهراء عليها السلام ومستقر في ضمير الأمة الإسلامية أيضاً، وقولها: ((وأنا ابنةُ نذير لكم بين يدي عذاب شديد))[٦٢]

فصيغتي (نذير) التي هي صفة للرسول محمد صلى الله عليه وآله صفة لازمة في حياته، وبعد انتقاله إلى الرفيق لبقاء أثره خالداً في نفوس المسلمين، وخلوده يتجسد في سنّته الشريفة التي رسمت طريق الهداية للعالم أجمع. وكذلك لفظ (شديد) صفة لعذاب الله فالشدّة ملازمة لذلك العذاب الذي يصدر بحق من يستحق ذلك العذاب.

٢ـ فيعل

ومن أوزان الصفة المشبهة الواردة في الخطبة الشريفة قولها عليها السلام: ((بيّنة بصائره))[٦٣] و: ((سيِّداً في أولياء الله))[٦٤] وكلا الصفتين (بينة) التي أشارت إلى حقيقة من حقائق القرآن الكريم التي ستبقى بصائره بيّنة لا خفاء عليها و (سيّد) التي نُعت بها أمير المؤمنين عليه السلام الذي سيسود الأولياء بمنزلته التي خصّه بها الباري عزّ وجل .

ـ اسم المفعول:

لقد استعانت السيدة الزهراء بصيغة (اسم المفعول) للشروع في بيان الحدث أولاً ومن وقع عليه الحدث. وهذا الأمر اتسق مع دلالة بنية اسم المفعول التي ترد للدلالة على الحدث ومن وقع عليه؛ بغية التأثير في المتلقي بوصفه الجهة التي قد تحتاج أحياناً إلى بعض التفاصيل للوقوف على حقائق النص الملقى إليه. وذلك نحو قولها عليها السلام:

- ((إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة))[٦٥]. فقد عبرت كلّ من (مكنونة) و (مصونة) و (مقرونة) عن الحدث ومن وقع عليه الحدث.

وقولها عليها السلام: ((به تنال حجج الله المنوَّرة، وعزائمه المُفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وبيناته الجليّة، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة))[٦٦].

وكذلك قولها عليها السلام ((ولنعم المُعزّى إليه))[٦٧].

و قولها عليها السلام: ((مكدوداً في ذات الله))[٦٨].

و قولها عليها السلام: ((فدونكها مخطومة مرحولة))[٦٩].

و قولها عليها السلام: ((وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح))[٧٠].

و قولها عليها السلام: ((موسومة بغضب الجبّار))[٧١].

و قولها عليها السلام: ((موصولة بنار الله الموقدة))[٧٢].

فقد جاءت صيغة اسم المفعول في المواضع التي أرادت السيّدة الزهراء عليها السلام الإشارة فيها إلى من وقع عليه الحدث الذي تتحدث عنه، وتُريد أن تنقله للمتلقين، فاستعمال صيغة اسم المفعول جاء في المواضع التي لا يُغني ذكر الحدث فحسب، بل تكون الحاجة إلى ذكر ذلك الحدث، ومن وقع عليه الحدث.

- صيغ المبالغة

تأتي صيغ المبالغة للدلالة على من دام منه الفعل، أو من كثر منه الفعل، أو من كان قوياً على الفعل، أو من اتصف به اتصافا شديداً [٧٣].

وقد وردت صيغة المبالغة في خطبة السيدة الزهراء في مجموعة مواضع. وقد توافق ورودها مع السياق العام الذي تدور فيه الأفكار إذ تعددت دلالات هذه الصيغة في الخطبة الشريفة من الإشارة إلى من كثر منه الفعل أو من اتصف به الفعل اتصافاً شديداً. ومثال ورود هذه الصيغة في الخطبة الشريفة قولها عليها السلام: ((ورضوان الربّ الغفّار، ومجاورة الملك الجبّار))[٧٤] فنعتت الباري عزّ وجل بالغفار والجبار وكلا الوصفين قد اتصف بهما الباري اتصافا شديداً.

وبذلك تكون الخطبة الشريفة قد وظّفت هذه الصيغة بما يتلاءم مع المضامين المراد البوح بها. وبالربط بين دلالات تلك الصيغ، والمعاني التي عبّرت عنها في الخطبة يتضح بجلاء دقة انتقاء السيّدة الزهراء عليها السلام لتلك الصيغ، ودقة

وضعها في مواضعها.

الخاتمة:

وفي الختام أقول: إنّ استعمال الأبنية الصرفية في الخطبة الشريفة جاء متساوقاً مع المضامين التي أرادت أن تعبر عنها السيدة الزهراء عليها السلام، فقد مثّلت أبنية الأفعال في الخطبة الشريفة ثورة انطلاق ساعدت على بيان كثير من الأفكار التي أرادت السيدة الزهراء عليها السلام أن تعبر عنها وتنقلها إلى المتلقي بصيغها الصرفية المختلفة وقد أفادت من الدلالات التي تحملها هذه الأبنية.

وقد جاءت المشتقات لتحمل مفاهيم الثبوت والاستقرار ولكن بنسب متفاوتة كلٌّ بحسب موقعه، والغرض الذي استُعمل من أجله مع الالتفات إلى مراعاة السيدة الزهراء عليها السلام انسجام هذه الصيغ مع المدلولات العامة، فضلاً عن حضورها في الجملة الواحدة.

في حين كان استعمال صيغ المبالغة في المواضع التي كان بها حاجة للتوكيد وبيان شدّة اتصاف صاحب الحدث الذي تعبر عنه هذه الصيغ. فقد وظفت الدلالات التي تعبّر عنها أبنية معينة في حمل القيم الدلالية التي كانت تروم التعبير عنها، وليس ذلك بغريب وهي سليلة بيت النبوة الطاهرة، وعقيلة الامام علي عليه السلام صاحب أعلى نصوص في البلاغة فليس غريبا على السيّدة الزهراء عليها السلام أن تنطق بهذه الكلمات التي تحمل هذه السمات، وهذه المعاني المختزلة في عبارات موجزة غاية في الفصاحة.

هوامش البحث

(١) ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي ٣٢١.
(٢) البنية اللغوية لبردة البوصيري، ٨٣.
(٣) ينظر: سور القيامة دراسة أسلوبية، ٤٨.
(٤) الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ٧.
(٥) المغني في تصريف الأفعال ٥٣.
(٦) ينظر: شرح الشافية ١ / ٨٣.
(٧) ينظر: الكتاب ٤ / ٦٠ ـ ٦٣، وشرح الشافية ١ / ٨٣.
(٨) الزوائد في الصيغ في العربية : ١٣.
(٩) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(١٠) الاحتجاج ١ / ١١٥.
(١١) الاحتجاج ١ / ١١٧.
(١٢) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(١٣) الاحتجاج ١ / ١١٤.
(١٤) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(١٥) ينظر: الكتاب ٤ / ٥٥ ـ ٦٣، وأدب الكاتب ٣٥٤ ـ ٣٥٥.
(١٦) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(١٧) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(١٨) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(١٩) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٢٠) الاحتجاج ١ / ١١٤.
(٢١) أشار ابن جني إلى أن هذا البناء يفيد معنى التدرج في قوله: ((إنما تُخبر أن هذا الفعل وقع منك شيئاً بعد شيء على تطاول الزمان))، ينظر: المنصف ١ / ٩١.
(٢٢) الاحتجاج ١ / ١١٥.
(٢٣) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٢٤) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٢٥) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٢٦) ينظر: أدب الكاتب، ٣٥٨، والصاحبي، ٢٢٢.
(٢٧) الكتاب ٤ / ٢٨٠.
(٢٨) أوزان الفعل ومعانيها ٨٤.

(٢٩) الاحتجاج ١/ ١١٧.
(٣٠) ينظر: المبدع في التصريف ١١٥.
(٣١) ينظر: شرح الشافية ١ / ١١٠.
(٣٢) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٣٣) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٣٤) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٣٥) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٣٦) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٣٧) ينظر: الممتع في التصريف ١ / ١٨٣.
(٣٨) الاحتجاج ١ / ١١٤.
(٣٩) الاحتجاج ١ / ١١٧.
(٤٠) الاحتجاج ١ / ١١٩.
(٤١) الكتاب، ٤ / ٦٥.
(٤٢) الاحتجاج ١ / ١١٤ - ١١٥.
(٤٣) الاحتجاج ١ / ١١٤.
(٤٤) الاحتجاج ١ / ١١٦.
(٤٥) ينظر: الممتع في التصريف ١ / ١٩٥، وأوزان الفعل ومعانيها ١٠٧ - ١١٢.
(٤٦) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٤٧) الاحتجاج ١ / ١١٦.
(٤٨) الاحتجاج ١ / ١١٧.
(٤٩) الاحتجاج ١ / ١١٧.
(٥٠) الخصائص ٣ / ١٠٣.
(٥١) معاني الأبنية ٤٧.
(٥٢) الاحتجاج ١ / ١١٤.
(٥٣) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٥٤) الاحتجاج ١ / ١١٤.
(٥٥) الاحتجاج ١ / ١١٤.
(٥٦) ينظر: الكتاب ٤ / ٨٤، والصاحبي ١٩١ - ١٩٢.
(٥٧) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٥٨) الاحتجاج ١ / ١١٤.

(٥٩) الاحتجاج ١ / ١١٧.
(٦٠) الاحتجاج ١ / ١١٥.
(٦١) الاحتجاج ١ / ١١٥.
(٦٢) الاحتجاج ١ / ١١٧.
(٦٣) الاحتجاج ١ / ١١٤.
(٦٤) الاحتجاج ١ / ١١٥.
(٦٥) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٦٦) الاحتجاج ١ / ١١٤.
(٦٧) الاحتجاج ١ / ١١٥.
(٦٨) الاحتجاج ١ / ١١٦.
(٦٩) الاحتجاج ١ / ١١٧.
(٧٠) الاحتجاج ١ / ١١٧.
(٧١) الاحتجاج ١ / ١١٧
(٧٢) الاحتجاج ١ / ١١٣.
(٧٣) ينظر: المباحث الدلالية في شروح نهج البلاغة المطبوعة (دراسة موازنة)، ٢٣٧.
(٧٤) الاحتجاج ١ / ١١٣.

قائمة المصادر والمراجع

- الاحتجاج: الشيخ أبو منصور الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق وضبط وشرح محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، مطبعة السعادة، مصر ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: الدكتور عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٨م.
- أوزان الفعل ومعانيها: الدكتور هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م.
- البنية اللغوية لبردة البوصيري: رابح بوحوش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٣ م.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الرابعة، مطابع الهيئة المصرية العامة، مصر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦.

- الزوائد في الصيغ في العربية: زين كامل الخوينسكي، إربد، ١٩٩٥م.

- سور القيامة دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير): مواهب عباس رافع الدليمي، كلية التربية / جامعة الأنبار، ١٩٩٩م.

- شرح شافية ابن الحاجب: الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي، تحقيق وضبط وشرح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، د.ت.

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أبو الحسن أحمد بن فارس، تعليق: أحمد حسم بسج، الطبعة الأولى، منشورات أحمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- المباحث الدلالية في شروح نهج البلاغة المطبوعة (دراسة موازنة) (أطروحة دكتوراه): جنان ناظم حميد مجيد، كلية التربية للبنات / جامعة بغداد، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- المبدع في التصريف: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد السيد طلب، دار العروبة، بيروت د.ت.

- معاني الأبنية في العربية: الدكتور فاضل السامرائي، الطبعة الأولى، جامعة الكويت، ١٩٨١م.

- المغني في تصريف الأفعال: محمد عبد الخالق عضيمة، الطبعة الثالثة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- الممتع في التصريف: ابن عصفور، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الثالثة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- المنصف.. شرح لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني: ابن جني، تحقيق: ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

- نظرية البنائية في النقد الأدبي: د. صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ط، ١٩٨٧.